

# أطفال النطف المهرية ثورة انسانية فى وجه السجان

سلسلة ابداعات فلسطينية فى السجون الاسرائيلية

دراسة صادرة عن مركز الأسرى للدراسات :



للباحث الأسير المحرر : رأفت خليل حمدونة

" سفراء الحرية ، أطفال النطف المهرية ، الإنجاب من داخل السجون " ، جميعها مسميات تدل على أحدث معركة انسانية مستجدة لصناعة الحياة ، حكاية بدأت بفكرة ، وانتهت بحقيقة رغم كل قيود الاحتلال ، معركة اعتمدت على حرب الأدمغة بين الأسرى والسجان ، قوامها التطلع للحياة بعين متفائلة ، وأبطالها أناس مظلومين عزّلوا عن سلاح الإرادة والصمود والأمل بالمستقبل ، يفكرون ويخططون ويبتكرون ويبدعون ، فى وجه إدارة ظلامية تألقت فى صناعة الموت ، ورغم كل الممارسات والقيود والوسائل الأمنية أخفقت فى كسر إرادة الأسرى وحرمانهم من حقوقهم الأساسية " بالإنجاب وتحقيق غريزة الأبوة مثل باقى البشر .

ظاهرة تهريب النطف برزت فى أوساط الأسرى الفلسطينيين المتزوجين ، ومن أمضوا فترات طويلة ، ومن ذوى الأحكام العالية، ممن حرّموا تكوين أسر وإنجاب ذرية بسبب قيام الاحتلال الصهيوني باختطافهم واعتقالهم من بين أهلهم وذويهم وزوجاتهم ، وتشير الاحصائيات أنّ 30-40% من الأسرى فى السجون من هم متزوجون ، هذا يعنى أن العقوبة ستكون مضاعفة مرات بحقه وبحق زوجته بالإضافة لعائلته ، وبهذا سيقع العقاب على ما ليس له أى جانب فى الفعل ، وخاصة على الزوجة التى تشعر بالوحدة بسبب غياب الزوج لسنين طويلة ، ولأنه الحق الفلسطيني والتحدى لهذا السجان قرر عدد من الأسرى القيام بتهريب نطفهم خارج السجن عبر طرق وأساليب لا تخطر على بال بشر ، من أجل الحصول على ذرية ، وتكوين أسر وبناء حياة عائلية رغم الغياب القصرى عن المجتمع [1] .

فى هذه الدراسة سيتناول الباحث قضية غريبة عجيبة ، كانت حلماً وأصبحت خاطراً ثم احتمالاً ، وأضحت بإرادة وإصرار حقيقة لا خيالاً ، وسيطرق الباحث إلى بدايات الفكرة ، وتطورها ، وأسبابها ، وشروطها ، وآثارها على مجمل قضية الأسرى على المستوى الاجتماعى والإعلامى والحقوقى ، وفى فضح انتهاكات دولة الاحتلال وممارساتها

العنصرية ، وردود فعل إدارة السجون وأجهزة الأمن الإسرائيلي بالتعامل معهم ومع أطفالهم اللذين أنجبوا وهم خلف القضبان .

### أولاً ، جذور الفكرة وإرهاصاتها :

إنجاب الأطفال للإنسان شيئاً فطرياً ، فلا يكاد يوجد من لا يحب أن يكون له أبناء ، كونهم زينة الحياة الدنيا ، فقد تجد من يبذل أعز ماله من أجل الحصول على طفل لكي يتحقق له شعور الأبوة ، وهذا الشعور يشترك فيه الذكر والأنثى ، الغنى والفقر ، الحر والأسير ، وإذا كان هذا الشعور متحققاً للإنسان الذي ينعم بالحرية ، والذي بإمكانه أن يتزوج ، ويعيش حياته الطبيعية ، فكيف بالأسير الذي لا يلتقي بأهله على فترات بعيدة وغير منتظمة إلا من خلف الأسلاك والقضبان [2] ؟ ومن هنا بدأت الحكاية والتفكير والنقاش المعمق للقضية وعلى فترات طويلة مكثت ما يقارب من العقدين من الزمن

وبرزت ثلاثة اشكاليات أساسية لتحقيق هذه الأمنية وهي :

### أ – الجانب الشرعي :

تخطى الأسرى في السجون معضلة الفتوى الشرعية من خلال إجازة المجامع الفقهية لعملية التلقيح الصناعي بين الأزواج في حالة الضرورة ، فهي مباحة في حالة العجز عن الإنجاب بالشكل الطبيعي ، في حال رغبة الزوجين في التناسل وإنجاب الذرية ، لأن التناسل مصلحة مشروعة لهما [3] ، وحصل الأسرى على فتوى شرعية لجواز الإنجاب من داخل السجون عن طريق الزراعة من الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي والشيخ المرحوم حامد البيتاوي [4] ، ومن دائرة الإفتاء بـ فلسطين وعلى رأسها الشيخ عكرمة صبري ، وأجازها كلاً من د. عماد حمتو أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة فلسطين وأحد علماء الأزهر الشريف بـ فلسطين [5] ، والشيخ د. سميح حجاج المفتي والمحاضر بجامعة فلسطين بغزة [6] ، والشيخ عبد الباري خلة رئيس لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف والشئون الدينية بقطاع غزة وجميعهم أكدوا " أن الإنجاب فطرة بشرية محببة للإنسان ، لقوله تعالى: " أَلْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ تَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا " [7] ، ولأن حفظ النسل من مقاصد الزواج ومقاصد الشريعة ، فلا بد للإنسان أن يحافظ عليها بالطرق والوسائل الشرعية ، فإذا كان المكلف يستطيع الإنجاب بالطريقة العادية التقليدية وهو اللقاء الجنسي بين الزوجين فلا يجوز التلقيح الصناعي وغيره من الطرق المعاصرة ، أما إن كان هناك ضرورة كالمشاكل التي تواجه أحد الزوجين ويكون العلاج لها الزراعة فلا بأس من ذلك بشروط وضوابط خاصة ، ومن حق الأسير الحرية وطلب الولد فإذا حرم الحرية فلا يحرم الولد ، فالولد قرة عين أبيه وعليه فلا بأس من التلقيح الصناعي الحاصل بين الأسير وزوجته عن طريق تهريب النطفة **ولكن بشروط** دقيقة منها:

1. الدقة في نقل النطفة وعدم نقل أكثر من نطفة للشخص الناقل تجنباً لشبهة التبديل.

2. التأكد من نقل العينة من الأسير وحقنها في زوجته فقط.

3. إسهاد الأسير على النطفة التي أخرجها منه.

4. أن يكون الناقل ثقة.

5. إعلام أهل الزوج وأهل الزوجة بذلك.

6. إعلام الجهات الشرعية والقضائية والرسمية والقانونية بتلك العملية.

بهذه الضوابط يجوز التلقيح ولا حرج به ، وهو نوع من الثورة والتمرد على المحتل وتحدي له [8].

### ب- الجانب الإجتماعي :

برزت الكثير من التحديات والنقاشات لدى الأسرى فى أعقاب الكثير من التساؤلات على المستوى الإجماعى ، بسبب عدم وعى المجتمع لهذا الخيار كونه غير مسبوق قد يعرض الزوجة للحر ج ، وهناك مخوفات كبيرة من عدم تصديق واستيعاب هذه التجربة فى حال حملها خلال اعتقال زوجها منذ سنوات طويلة ، وقد يكون هنالك استقصاء للمس بها من قبل المخابرات الإسرائيلية التى تحارب الظاهرة بلا أخلاق من خلال التشكيك ونشر الأخبار الكاذبة والإشاعة المغرضة عن طريق المتساقطين ، وتلقفها من بعض الحاقدين ومن ثم المس بكرامة وشرف المرأة وكذلك الأسير والمقربين .

لذلك بحث الأسرى عن الحاضنة الإجماعية التى تحميه وعائلته على كل المستويات ، بدايةً من قناعة الزوجة بالفكرة كونها الشريك الأساسى فى القضية لتحمل العبء ، وكونها أكثر الجهات تحدياً أمام المجتمع للشروع بهذه الفكرة وتحقيها ، ومن ثم قناعة المقربين من الوالدين كرعاة أساسيين وشاهدين على تنفيذ المهمة ورعايتها ، وقناعة العائلة والحقى والمجتمع لتبنى هذه القضية كنوع من التحد للسجان .

### ولحل هذه المعضلة الإجماعية اقترح بعض الأسرى حلولاً تتمحور ب :

- 1- تناول فكرة تهريب النطف والزراعة لزوجات الأسير عبر وسائل الإعلام المشاهدة والمقروءة والمسموعة والالكترونية ، والفضائيات الفلسطينية والعربية ، ولربما كان الأسبق فى هذا الاتجاه فيلم " انتزاع " الذى عرض فى العام 2009 ، والذى جسد فكرة تهريب النطف من داخل السجون إلى خارجها قبل نجاح أول نطفة فى العام 2012 .
- 2- أن تقوم وزارة الأوقاف بتعميم الفكرة عبر الخطباء فى المساجد لإثارة الموضوع بشكل مكثف .
- 3- أن تقوم المؤسسات العاملة فى مجال الأسرى بتوزيع نشرات وعقد ورش العمل بوجود أهالى الأسرى لاستيعاب الفكرة [9] .

### ج- الجانب الأمنى :

فكر الأسرى بحلول للإنجاب من داخل السجون ، وفق القوانين الدولية ، وما هو متعارف عليه فى سجون عربية ، وما هو متاح ومعمول به من نظام فى السجون الإسرائيلية ، ودرس الأسرى هذه الحالة بتمعن فى فترة مبكرة ما قبل الشروع بتهريب النطف ، وكانت البدايات بمناقشة الخلوة الشرعية داخل السجن ، على أساس الإجماع بين الزوجين فى غرفة خاصة معدة داخل السجن يتم اللقاء فيها بين الزوجين لفترة معلومة فى أوقات محددة بحيث يتم نقل الزوجة من خارج السجن إلى داخله فتلتقى بزوجها فى الغرفة المخصصة بحيث تحدث المعاشرة بينهما ، وهذه الغرفة تكون تحت الإدارة المسؤولة عن السجن ، والمعروفة فى السجون الإسرائيلية ، وبخاصة لدى الأسرى الجنائيين اليهود باسم ( אהבה\_ حيدر أهافا أى غرفة الحب ) [10] .

وكثيرة هى المدارس لدى علماء الإجماع فى أوروبا والعالم التى تؤكد على الآثار الإيجابية لاجتماع الأزواج فى السجون كوسيلة تأهيلية وإصلاحية [11] ، ومنذ أكثر من قرن تعاملت به بعض السجون الأمريكية فى ولاية ميسيسبي (Mississippi) فى العام 1900 مع الأسرى السود اللذين اشتغلوا فى الحقول أثناء وجودهم فى السجن [12] ، وكذلك فى ولاية أوريجون وكاليفورنيا ، وعمل بنظام الخلوة فى السجن فى الكثير من دول العالم ، كالولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية والآسيوية وأمريكا الجنوبية ودول أفريقيا [13] ، ودعا لهذه الفكرة علماء اجتماع كثر أمثال : " كولومبس هوبر ، وأوجين زيمانز ، وروث شونل كافان ، وجوزيف بالوج وغيرهم [14]" ، وعلى المستوى العربى كانت المملكة العربية السعودية أول من طبقت " الخلوة الشرعية " فى سجونها فى العام 1978 ، وتلتها فى ذلك الخصوص كل من الكويت واليمن وقطر والإمارات العربية المتحدة ودول عربية أخرى ، وأصدرت دار الإفتاء المصرية فتوى رسمية بختم شعار وزارة العدل أكد فيها المفتي د. علي جمعة : " بالجواز الشرعى لاختلاء المسجون بزوجه ، والزوجة المسجونة بزوجها لممارسة الحقوق الشرعية الخاصة بالزوجين [15] .

أما على صعيد السجون الإسرائيلية فأول من طرح فكرة " الخلوة الشرعية " مع الزوجة للنقاش الأسير المحرر جبر وشاح خلال اعتقاله فى العام 1993 فى سجن نفحة ، وتم تناول الفكرة من جميع جوانبها ، وكتب فى ذلك مقالاً لازال

يحتفظ به خطياً حتى بعد الإفراج عنه ضمن إفراجات اتفاقية أوسلو ، معللاً الأمر بالأحكام الجنونية والجائرة والصارخة بالمؤبدات لمرات لمدى الحياة ، وتطرق لحق الزوجة بالإنجاب ، كونها تنتظر زوجها لسنوات طوال دون ونيس في الحياة ، بالإضافة لضغط المجتمع عليها لطلب الطلاق بسبب انسداد أفق الافراج عن الأسرى ، وحتى لا تقهر في حال تم الإفراج عن الزوج وهي في سن اليأس إذا ما طلب الذرية لاحقاً لتحقيق أمنيته للزواج بأخرى[16].

**ولكن الأسير وشاح ورفاقه في السجن رفضوا الفكرة بعد دراسة معمقة لها ، لأسباب أمنية أهمها :**

- 1- عدم أخلاقية العدو الاسرائيلي ، الذي لا يتوانى من فضح الخلوة بالصوت والصورة .
- 2- التخوفات الأمنية من استغلال تلك الصور كابتنزاز وضغط على الأسير وزوجته واستخدامها كوسيلة إسقاطهما أمنياً وأخلاقياً .
- 3- الفارق بين الدول التي تحبس رعاياها وتعمل على تأهيلهم وإصلاحهم ليكونوا عناصر ايجابية في المجتمع بعد تحررهم ، وبين العدو الصهيوني الذي يسعى بشتى الأساليب لتحطيم بنية الأسير ونفسيته ، وتحويله عبء على مجتمعه .
- 4- الحذر من جانب الأسرى في كل ما يتعلق بالحماية له ولذويه .
- 5- عدم قبول تلك الفكرة من جانب زوجات الأسرى وعائلاتهم لانتمائهم لمجتمع متدين ومحافظ ، وعدم تشجيعها وتبنيها وطنياً واجتماعياً [17].

#### **ثانياً ، عنصرية اسرائيلية باتجاه الأسرى العرب :**

عارضت دولة الاحتلال فكرة الإنجاب للأسرى الفلسطينيين والعرب بكل الوسائل " بالخلوة الشرعية والنطف المهربة والحرية المؤقتة والاجتماع بالأهل لساعات ثم العودة " وعملت على محاربتها بكل الطرق ، ، واتضح هذا الرفض في أعقاب عقد قران عميد الأسرى العرب الشهيد سمير القنطار على فتاة فلسطينية من مدينة حيفا المحتلة خلال الإعتقال ، وذلك في العام 1993 ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الإسرائيلية ، الأمر الذي دفع رئيس الوزراء ورئيس دولة اسرائيل الأسبق شمعون بيرس بالتصريح اعلامياً " ذرية سمير القنطار لن ترى النور ما دمت على قيد الحياة " [18]

، وقد بررت مديرة مصلحة السجون أوريت أوداتو " **אורית אודאטו** " رفض الانجاب للأسرى الفلسطينيين السياسيين عبر مقابلة متلفزة على إحدى القنوات الاسرائيلية بالبعد الأمني ، تخوفاً من تهريب أدوات ممنوعة للأسرى من خلال الخلوة .

ويعتقد الباحث بصحة قرار الأسرى الفلسطينيين برفض فكرة الإنجاب عن طريق " الخلوة الشرعية " في سجون المحتل ، في حين يؤكد على عنصرية الاحتلال في التعاطي معهم بشعار دنىء " أن الإرهابى سينجب اراهيباً مثله " في حين سمحت للإرهابى اليهودى المصنف سجين أمنى " **יגאל עמיר** - **יגאל עמיר** " قاتل رئيس الوزراء الاسرائيلي الأسبق إسحاق رابين في العام 1995 ، مع العلم أنه يقضي عقوبة المؤبد ، وبعد الخوض بإضرابات عن الطعام ، ومحاولته تهريب النطف تحت المعطف ، توجه لمحكمة العدل العليا الإسرائيلية وجلب له محاميه المدعو شموئيل دافيد كاسير الموافقة الرسمية له " بالخلوة الزوجية " كباقي الأسرى اليهود ، وتمكن بذلك من انجاب طفل [19].

الأمر نفسه تكرر مع الإرهابى المتطرف الأسير المصنف أمنياً عامى بوبر " **עמי פופר** " الذى قتل فيما عرف بالأحد الأسود في 20-5-1990 " بيندقية من طراز أم 16 " سبعة من العمال الفلسطينيين من مدينة خانينونس جنوب قطاع غزة ، وأصاب أحد عشر آخرين بجراح مختلفة بمنطقة "ريشون لتسيون" قرب تل أبيب ، ومع هذا سمحت له إدارة مصلحة السجون الاسرائيلية بالزواج الرسمى في العام 1993 م ، وأنجب طفله البكر في العام 1995 م ، وطفلين آخرين من بعده [20].

وما يدل على العنصرية والتمييز لدى دولة الاحتلال قضية الأسير الفلسطيني " وليد دقة " موليد 1961م من سكان باقة الغربية في المثلث الشمالي بفلسطين المحتلة عام 48 ، والمعتقل منذ العام 1986، والمحكوم عليه بالسجن المؤبد مدى الحياة ( ولا زال معتقلاً حتى تاريخ الدراسة 2015 ) ، والذي عقد قرانه على ناشطة حقوقية في العام 1999، والتي رفضت المحكمة المركزية في الناصرة التماساً قدمه مركز "عدالة" عن طريق المحامية عبيد بكر في 27 تموز 2008 السماح له بإنجاب طفل ، كحلم لم يفارق هاجسه بتحقيق الأبوة ، والذي كتب عنه العديد من القصص القصيرة والخواطر ، كون الوقت لا يعمل لصالحه ، ولأن تحريره لا يبدو في الأفق ، وهو وزوجته يأخذان بالتقدم بالسن ، وادعت المحامية أنّ سلب حق الأسير " دقة " في إنجاب الأطفال يشكل مساً خطيراً في حقوقه الدستورية، كحقه في ممارسة حياة عائلية وحقه في الكرامة وفي مضي فترة محكوميته بشكل لائق وإنساني لا يستند على مبدأ النقمة ، وإنّ أي تأخير في السماح للأسير بتحقيق حقه في إنجاب الأطفال سيسبب له ضرراً أبدياً [21] ، والنتيجة التي كانت يرفض الالتماس دليل واضح على التمييز بين السجناء العرب واليهود لصالح اليهود في الحقوق ، على الرغم من تشابه الفعل على اختلاف القضية لصالح الفلسطيني كمقاوم للمحتل مقابل إرهاب استيطاني مناقض للإنسانية وللاتفاقيات والمواثيق الدولية .

**ثالثاً ، الإنجاب عن طريق النطف المهربة :** في أعقاب القيود والممنوعات الإسرائيلية ، والتخوفات الأمنية لخيار " الخلوة الشرعية " ، والمحاربة الإسرائيلية لأى خيارات بإخراج النطف والتلقيح الصناعي بطرق رسمية ، بدأ الأسرى يفكرون بطرق إبداعية بديلة لتحقيق الإنجاب كحق إنساني ، فبرزت فكرة الإنجاب عن طريق " النطف المخزنة " من قبل الأسير عباس السيد موليد 1966 ، من طولكرم ، والمحكوم بالمؤبد 36 مرة ، كونه خزّن عينات قبل اعتقاله في العام 1997م في أحد المراكز المتخصصة بهدف الإنجاب عن طريق زراعة الأجنة ، ولقد اقترح على زوجته أثناء الاعتقال استخدام العينة المودعة في المركز الطبي ، ورغم عدم تقبلها للأمر في بداية الأمر إلا أنها عاودت التفكير وقررت الإقدام على التجربة رغم ما قد تسببه من حرج اجتماعي ، معتبرة أنها تؤدي رسالة إنسانية [22] ، ومن ثم بدأت فكرة تهريب النطف من السجون ، في ظل التطور العلمي وتوفير الشروط المطلوبة " من إجازة شرعية ، وتفهم عائلي واحتضان اجتماعي ، وحماية أمنية وأخلاقية وضوابط من كل الجوانب ، والجديد في الأمر أن النقاش المعمق للقضية داخل السجن وخارجه حظى بنسبة تأييد مشجعة .

فقد أجرى الباحث الأسير إياد أبو فنون قبل تحرره من الأسر في العام 2011م خلال كتابة رسالته بعنوان " زواج الأسير وطلاقه والمستجدات في ذلك " استطلاعاً في قسم 3 بسجن هداريم ، الذي يضم عينة تقدر ب ( 120 ) أسير من ذوى الأحكام العالية من معظم الفصائل الوطنية والإسلامية ، وشارك في الاستطلاع 84% ، وامتنع 16% وأشارت النتائج إلى أن 65% من المتزوجين ممن لم ينجبوا قبل الاعتقال يفكرون بالإنجاب وهم داخله [23].

ويمكن إرجاع أول محاولات تهريب النطف إلى العام 2002 [24]، والتي لم تتجح لعدة أسباب :

أ- قلة خبرة الأسرى في امكانيات الحفاظ على حياة الحيوانات المنوية وتوصيلها للخارج.

ب- الفرق الكبير في التقدم العلمي في موضوع التلقيح الصناعي والزراعة ما بين أول محاولة تهريب لم تتجح في العام 2002 ، وأول عملية ناجحة في العام 2012 .

ت- اهتمام أهالي الأسرى وتهيئة الظروف المسبقة لها في العام 2002 لم يكن بنفس المستوى في العام 2012 .

ث- التنسيق المسبق مع المستشفيات وتلقى الإرشادات الطبية والتحضير للعمليات في العام 2012 لم يتوفر بنفس المستوى سابقاً .

وفيما يتعلق ببعض عوامل النجاح يقول الأسير المحرر أكرم سلامة والذي تواجد مع الأسرى المرضى خلال اعتقاله " لم تتوفر الأنابيب الحافظة للنطف المهربة في السجون ، حينها كنت في مستشفى " مراج " بسجن الرملة ، كنت أطلبها في يومى الجمعة والسبت من المرضى لعدم وجود طاقم الإدارة في تلك الأيام ، وبعثتها للأسير روى مشتهى الذى لم تتجح محاولته لربما لأسباب لها علاقة بظروف الزيارات ، وبعثتها لأسرى آخرين عن طريق أسرى نزّلوا المستشفى ، كانت تلك الأنابيب مهمة لنجاح التجربة ، وأوصى الأطباء لضمان حياتها أن توضع في أنبوب غير مستخدم وآمن ونظيف

، وأن توضع الأنابيب في كيس أسود غير شفاف على أن يتم إغلاق الأنبوب بإحكام ، وأن تصل النطف للمختبر مباشرة بعد الزيارة بدون تأجيل ، ويتم التأكيد على أن لا يحمل أحد الزائرين نطف لشخص آخر ، وإن كانت المسألة ضرورية بسبب منع أهل الأسير الآخر من الزيارات ألا يحمل إلا أنبوب واحد لزائر واحد فقط لضمان عدم اختلاط العينات [25].

وعن طرق التهريب التي تم الإعلان عنها وكشفها من قبل الإحتلال ، أنها كانت عن طريق هدايا الأسرى لذويهم يوم الزيارات ، وذلك بوضع النطف مكان نواة التمر ، أو داخل حبات الشوكولاتة والحلويات ، وطرق لا زالت غير مكتشفة ولم يتم الإعلان عنها بعد لاستمرار نجاح الظاهرة .

#### – أول سفير حرية من السجون :

من غير الصدفة بوازع الاهتمام والمتابعة ، كان الباحث أول من نشر خبر أول نطفة مهربة خرجت من السجون الإسرائيلية نقلاً عن الأسير المحرر طارق عز الدين في 2012/8/4 دون ذكر لاسم صاحبها ، وكان ذلك على وكالة معاً الإخبارية كخبر رئيسي في اتصال بينه وبين رئيس تحرير الوكالة د. ناصر اللحام الذي تعامل مع الخبر بكل جدية ومسئولية معتبراً القضية ثورة انسانية أولى من نوعها على مستوى حركات التحرر العالمية ، وكان الخبر تحت عنوان " أسير فلسطيني ينقل حيوانه المنوي خارج السجن " [26] ، وقد انتشر الخبر إعلامياً على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي بصورة سريعة جداً وملفتة للإنتباه ، ولاستكمال المتابعة في 2012/8/6 تم الإفصاح من قبل الباحث عن هوية صاحب النطفة المهربة وهو الأسير عمار عبد الرحمن الزين من سكان رأس العين قضاء مدينة نابلس والمحكوم بـ ( 27 مؤبداً و25 عاماً ) ، وكان قد أمضى حينها 15 عام متواصلة في السجون ، والذي كان أباً لابنتين قبل الاعتقال وهن " بشائر النصر و بيسان " [27] ، وقد رزق بالطفل " مهند " كأول سفير للحرية في 13 / 2012/8 ، والطفل " صلاح الدين " بعد عامين بنفس الطريقة في 4 سبتمبر 2014.

الدكتور سالم أبو خيزران مدير مركز " رزان " للتلقيح الصناعي والمشرف على تلقيح النطف المهربة للأسرى وصف التحصيرات بالقول : لم تقدم على عمليات الزراعة حتى تهيأت الظروف الاجتماعية ، وبعد الحصول على فتوى دينية رسمية ، واحتضان مجتمعي ، وكانت بمباركة من الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات عدد كبير من المؤسسات والقيادات الفلسطينية الوطنية والإسلامية ، وبدعم من كوادر الحركة الوطنية الأسيرة في السجون ، وحينما طلبت زوجة الأسير عمار الزين من المركز القيام بهذه العملية في العام 2006 ، لم نوافق على الأمر ، وأجلنا الموضوع حتى تأخذ الموافقة من الجميع ، وتهيئ كافة الظروف والأجواء الاجتماعية والعائلية والمؤسسية وتمهد للأمر ، وقمنا بهذه العملية بعد قناعتنا باستكمال كل تلك المتطلبات في العام 2012 أي بعد 6 سنوات من الطلب [28].

وبهذا تحول الأسير عمار الزين وطفله الأول مهند عنوناً لمرحلة جديدة ، وأساساً لبداية انطلاقة نوعية ، نحو تعميم التجربة والانتقال من الإنتصار الفردي إلى الإنتصارات الجماعية ، وانتزاع لحق سلبته إدارة السجون الإسرائيلية ، وأقرته المواثيق الدولية وكفلته الشريعة الإسلامية ، انتصار هو الأول ، شجع الآخرين ومهد الطريق وشكل عنواناً لمعركة جديدة ضد الإحتلال والسجان ، فانتشرت ثقافة القبول بالتخصيب ، وغدت ظاهرة توشك أن تعم السجون ، فمن الأسرى من سجل نجاحات مماثلة ، ومنهم من تنتظر زوجته استكمال فترة الحمل لتضع مولودها ، ومن الزوجات من ينتظرن إتمام التحضيرات الطبية لإجراء عملية التلقيح ، لكن ثقافة تهريب النطف ، انتشرت وسوف تنتشر أكثر ، وسوف تلاقى تأييداً واسعاً فيما بعد ، من رجال الدين والسياسة وأطراف الحركة الأسيرة قاطبة ، ولقد تكررت التجربة من بعد ، حتى غدت ظاهرة لافتة وثورة من أجل الحياة [29] ، ولقد سجل التاريخ أن أول عملية تهريب من السجون كان بطلها الأسير عمار الزين ، وأول سفير للحرية ابنه " مهند " ، في حين كان الطفل " محمد كريم " ابن الأسير سائد صلاح ، من مدينة جنين ، والمحكوم 27 عاماً ، هو آخر سفراء الحرية وفق تاريخ الدراسة حتى نهاية 2015 [30] ، ليرتفع عدد الأطفال الذين أنجبوا عبر تهريب " النطف المنوية " من داخل السجون الى أكثر من (40) طفلاً - وفق بيان لهيئة شؤون الأسرى والمحررين - ، ولا زالت محاولات الأسرى مستمرة ، والظاهرة في إزدياد بسبب الدعم والمساندة لها من كل الاتجاهات .

وحقيقة الأمر أن السجون لم تشهد منذ بداية الاحتلال هذا التطور الفائق في مقدره الأسرى على تهريب النطف المنوية وإنجاب الأطفال كما شهدته الأعوام القليلة الماضية، وان هذا الانجاز الإنساني أعطى قوة معنوية ونفسية للأسير وعائلته وجدد أملهم بالحرية " [31] .

ويرى الباحث أن أطفال النطف منحت الزوجة ثقة الاستمرار بالحياة الزوجية مع زوجها الأسير ، وجنبتها قهر زواج زوجها بعد الإفراج عنه بحثاً عن الانجاب ، وخففت الضغوط الاجتماعية عليها للبقاء على عهد التواصل مع زوجها رغم الأحكام العالية ، وقضت توق الأسير لغريزة الإنجاب الذى حاول الاحتلال من خلال الاعتقال قطع النسل .

#### رابعا ، مواجهة الإحتلال لهذه نظاهرة النطف المهربة :

من الطبيعي أن تشكل ظاهرة تهريب النطف قلقاً كبيراً للاحتلال الذى يحاول قتل كل معنى للحياة فى لدى الأسير الفلسطيني ، فهو لم يتقبل تربية عصفور أنقذه الأسرى من الموت لحظة وقوعه من عشه بعد أيام من نفسه ، وقتل عدد من القطط المولودة حديثاً كون أمها وضعتها فى زنزانة أسيرة معزولة لشعورها بدفء وحنان معتقلة استأنست بها لشعورها بالرأفة ، وألقى بنبته كان أحد الأسرى قد غرسها شوقاً لرؤية غصن أخضر ، فمن الطبيعي أن لا يستوعب انجاب طفل وتربيته وزيارته لوالده بعد انتصار كبير لارادة الأسرى على كل أنظمة السجان ومخططاته واحتياطاته الأمنية .

فكانت أولى ردات الفعل الإسرائيلية على لسان الناطقة باسم مصلحة السجون الإسرائيلية المسؤولة عن احتجاز الأسرى الفلسطينيين السياسيين " سيفان فاينسمان " التى قالت : " إن إدارة مصلحة السجون الإسرائيلية على علم بتهريب النطف من جانب الأسرى ومحاولاتهم ، وأنا سنضع حد لهذه الظاهرة ، ولقد تم تشكيل لجنة تحقيق للموضوع ، وحسب النتائج سنصدر التعليمات الجديدة التى ستقلل بشكل كبير من الأدوات والطرق التى تهرب فيها الحيوانات المنوية " .

وبينت فاينسمان أن إدارة مصلحة السجون اكتشفت وسائل وتهريب الطرق ، وبينت أن لجنة التحقيق الجديدة أصدرت تعليمات لن تعرض للإعلام لأنه فى حال كشفها سيحاول الأسرى الفلسطينيون الالتفاف عليه[32].

وفى أعقاب تشكيل لجنة التحقيق قامت إدارة مصلحة السجون بعدة خطوات مثل " التفتيش الدقيق للأسرى ، والهدايا ، والملابس التى يخرجهها بهدف تبديلها عبر الأهل فى يوم الزيارات ، وكذلك تفتيش الأطفال الصغار الذين يتم إدخالهم لدقائق فى نهاية الزيارات ، ومن يضبط أثناء تهريب النطف يتم عزله فى الزنازين لمدة أسبوعين وقد يمنع من الزيارات لما يقارب من الشهرين ، وأحياناً يتم نقله إلى سجن آخر بعد غرامة تقدر ب 150 دولار أمريكى حتى 1300 دولار كما حدث مع الأسير عبد الكريم الريموى [33] .

ولعل أفسى أنواع العقاب منع دولة الاحتلال منح هؤلاء الأطفال بطاقة هوية فلسطينية، كما ترفض الاعتراف بشهادات الميلاد وأرقام الهويات التى تخرجها وزارة الداخلية الفلسطينية، كما تمنعهم من زيارة آبائهم فى السجن للمضايقة على المعتقلين وتعقيد تواصلهم مع الخارج لكون هذه الإجراءات غير قانونية[34].

و لعل أكثر ما لفت انتباه الباحث للتدليل على تخبط دولة الاحتلال فى التعامل مع الظاهرة منع الطفل مجد من زيارة والده فى السجن رغم وصوله لبوابة غرفة الزيارات التى تبعد أقدام قليلة عن بنك جلوس والده فيها ، وروت أم الطفل زوجة الأسير عبد الكريم الريموى صاحب ثانى نطفة مهربة ، من قرية بيت ريماء، المحكوم بالسجن 25 عاما ، تجربة منعها من الزيارات بعد الانجاب بالقول : " ذهبت لسجن نفحة بعد أسبوعين من ولادة " مجد " لزيارة زوجى حتى يراه ويفرح به ، وحينما نادوا على رأوه بين ذراعى ، فسألني الجندي : طفل من هذا ؟ أجبته : طفل عبد الكريم ، فرد عليّ قائلاً : مستحيل، أنا أعلم أن عبد الكريم مسجون لدينا منذ 12 عاماً وليست لديه سوى ابنة ، فكيف يمكن أن ينجب طفلاً وهو فى الأسر؟ فبدأ الجنود بالتوافد إلى الساحة ، وراح كلّ جنديّ يقترب من الطفل ويكشف الغطاء عنه ليتأكد من أن المائل بين يديها طفل وليس لعبة ، وتضيف : أن ابن الأسبوعين شكّل صاعقة لجنود مصلحة سجون الإسرائيلية ، حينها قرروا منعى من الزيارة ، شعرت بفرحة عارمة عندما رأيت خوف الجنود الاسرائيليين وارتباكهم بسبب وجود مجد فى السجن ، لم أبك رغم كل الاجراءات التى مورست بحقنا، وإنما شعرت بالفخر، بأنني استطعت أن أحصل على أبسط حقوقي كزوجة

أسير، وأن أنجب طفلاً وأرى عائلتي تكبر ، وشعرت بفخرٍ أكبر عندما رأيت تعابير وجوه السجنائين تدلّ على الهزيمة " [35] ، مع التأكيد أن هناك عدد من الأسرى من تمكّنوا لاحقاً من لقاء أطفالهم كان منهم الأسير عمار الزين .

في نهاية الدراسة يجزم الباحث والأسرى والمتابعون " أن عملية تهريب النطف تعد إنجازاً وطنياً وإنسانياً وحقوقياً كبيراً ، وتعتبر وسيلة نضالية جديدة للأسرى بحثاً عن الحياة والأمل والحرية ، وهي خطوة للتغلب على قيود السجان، وكسرت شوكة أحكامه المؤبدة ، فإنجاب الأطفال حق مشروع لكل إنسان على وجه الأرض، والأسرى انتزعوا هذا الحق رغم أنف الاحتلال مسارعاً لقطار الحياة بالأمل والإرادة في معركة البقاء والوجود [36].

رئيس هيئة الأسرى والمحررين عيسى قراقع يعتبر أن عملية تهريب النطف تمثل إنجازاً كبيراً وتحدياً للظروف القاسية التي يعيشها المعتقلون الفلسطينيون، فإنجاب الأطفال عن طريق التخصيب أقوى رسالة حياة على جوه الأسرى اللذين يتطلعون إلى المستقبل والحرية [37] ، ووصف ظاهرة النطف المهرية بثورة التحدي الإنساني، واختراقاً لكل أشكال العزل والظروف الصعبة والقاسية التي يعيشها الأسرى بالسجون ، ورسالة حياة عميقة للعالم تقول : " بأننا نحب الحياة ولا نريد سوى أن نعيش كبشر لنا أطفال وبيت وعائلة ، وهذا هو هدفنا الإنساني والوطني والنضالي، وأضاف : أن الأسير أثبت انه إنسان له الحق في الحياة والحرية، رداً على كل أشكال التعسف الإسرائيلية التي تسعى إلى تجريده من إنسانيته وتشويه صورته، حيث يرى الأسير في طفله القادم نبض حياة متجددة في الوقت الذي تقوم به إسرائيل بقتل واعتقال الأطفال الفلسطينيين، وهي رسالة أخلاقية من الأسرى بامتياز " [38].

ومن النتائج الإيجابية لظاهرة تهريب النطف أنها سلطت الضوء على القضايا الإنسانية للأسرى بشكل كبير في العالم، وأظهرت العنصرية التي يتعرض لها المعتقلين السياسيين القابعين في سجون الاحتلال الإسرائيلي [39] ، ويرى الباحث أن سفراء الحرية ، أبناء النطف المهرية حملوا رسائل عدة للعالم ، رسالة مطالبة لتجريم سياسات الاحتلال التي تتعامل مع آبائهم بكل تلك الوحشية من الأحكام الردعية الخيالية ، واعتقالهم في ظروف غير آدمية وغير إنسانية ، وعلى العنصرية وسياسة التمييز في السجون ما بين اليهودي والفلسطيني في كافة التعاملات والحقوق والممارسة ، وأن الاحتلال يحرم آباءهم من حقوقهم الأساسية وعلى رأسها حق الإنجاب والتعليم والعلاج والتواصل مع الأهل عبر الزيارات المنتظمة ، وانهاء العزل الانفرادي والأحكام الإدارية بدون لائحة اتهام وبملفات سرية ، ويحملوا ملف الأسرى بكل مكوناته وانتهاكات الاحتلال بحقهم للمؤسسات الحقوقية والإنسانية المحلية والعربية والدولية .

.....  
ملاحظة / يحتفظ الباحث بمصادر الدراسة لحفظ حقوق ملكيتها ، ولكونها أحد مباحث رسالة الدكتوراة .

**يمنع الاقتباس دون ذكر المرجع بالمعلومات التالية :**

- أفت خليل حمدونة : الجوانب الإبداعية في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الأسيرة في الفترة ما بين 1985 إلى 2015، القاهرة ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراة في قسم العلوم السياسية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، 2015 ، ص 210-219 .

.....  
دراسات سابقة للباحث :

( دراسة / الإضراب المفتوح عن الطعام ( التعريف ، والجنور ، والقانون ، والأنواع

[id=27436&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27436)

دراسة / أطفال النطف المهرية ثورة إنسانية في وجه السجان

[id=27528&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27528)

دراسة / التجربة الديمقراطية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية

[id=27819&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27819)



دراسة / الأوضاع التعليمية للأسرى الفلسطينيين فى السجون الإسرائيلية

[id=27754&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27754)

دراسة / المسيرة الثقافية للأسرى الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية

[id=27717&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27717)

دراسة / أدب السجون التعريف والمميزات

[id=27645&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27645)

دراسة / وثيقة الأسرى لا زالت مفتاح المصالحة الفلسطينية وانتهاء الإنقسام

[id=27577&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27577)

دراسة / عوامل ابداع الأسرى الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية

[id=27433&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27433)

دراسة / الآليات اعتقالية لتطوير منظومة الإبداع للأسرى الفلسطينيين فى السجون الاسرائيلية

[id=27967&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27967)

دراسة / الوسائل النضالية للأسرى الفلسطينيين فى مواجهة السجن الاسرائيلى

[id=27875&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=27875)

دراسة / عن الوضع القانونى ومحطات الاعتقال والتعذيب للأسرى الفلسطينيين فى السجون

[id=28106&http://alasra.ps/ar//index.php?act=post](http://alasra.ps/ar//index.php?act=post&id=28106)

#### **تعريف بالباحث رأفت حمدونة :**

باحث مختص فى قضايا الأسرى والشأن الاسرائيلى ، ومدرب ممارس محترف فى التنمية البشرية ، عضو فى نقابة الصحفيين الفلسطينيين والدوليين، حصل على شهادة البكالوريوس فى علم الاجتماع والعلوم الإنسانية من الجامعة المفتوحة فى إسرائيل خلال فترة اعتقاله التى دامت 15 عام متواصلة ، وحاصل على درجة الماجستير فى الدراسات الإقليمية مسار " دراسات إسرائيلية " وبتقدير ممتاز من جامعة القدس / أبو ديس، وطالب دكتوراة فى مجال العلوم السياسية بمعهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، من مؤلفاته داخل الاعتقال " نجوم فوق الجبين – عاشق من جنين – الشتات – ما بين السجن والمنفى حتى الشهادة – قلبى والمخيم – لن يموت الحلم – صرخة من أعماق الذاكرة " ، يعمل مديرًا عامًا بهيئة شئون الأسرى والمحربين ، ومدير مركز الأسرى للدراسات والأبحاث الإسرائيلية ، ومحاضر غير متفرغ فى الجامعات الفلسطينية ، ومقدم برامج إذاعية وتلفزيونية .

للمراسلة على اميل :

[rafathamdona@yahoo.com](mailto:rafathamdona@yahoo.com)